

الخبيس 07-07-2011

1406-قراءة في كراسات التدريب



## قراءة: في كراسات التدريب (نجيب محفوظ)

مقدمة:

كأنه معنا هذه الأيام جدا فعلا،

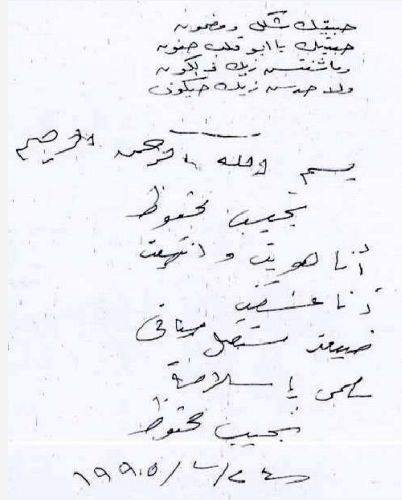
فجأة نقلنا اليوم معه من رقة وحب وهيام ونوم وأحلام،  
وليالي أم كلثوم أمس، إلى سيد درويش، فتدرج اليوم من  
أغنيتي "أنا هويت"، "وأنا عشقت"، "وضيعت مستقبل حياتي"،  
ليضعنا في بؤرة انتفاضة يناير، فيحضرنا سيد درويش بكلمات  
الشيخ يونس القاضي ووعيه وحماسه، يحضرنا كل هذا بما نحتاجه  
الآن جدا، وخاصة ما يحتاجه هؤلاء الشباب الذي لم يعرفوا مصر  
كما عرفها كل جيله وكما تعلمنا منهم بعضه،

نحن في أشد الحاجة أن نتعلم أكثر فأكثر الآن خاصة

نعم: الآن بالذات وللشباب بالذات.

ص 28 من الكراسة الأولى

حبيتك شكل ومضمون  
حبيتك يا ابو قلب حنون  
وما شفتش زيك في الكون  
ولا حدش زيك حيكون  
.....  
بسم الله الرحمن الرحيم  
نجيب محفوظ  
أنا هويت وانت هيت  
انا عشقت  
ضيعت مستقبل حياتي  
سلمى يا سلامه  
نجيب محفوظ  
1995/2/24



القراءة:

حين طالعت الجزء الأعلى من صفحة التدريب الثامنة والعشرين هذه لم يمض سوى شهر واحد تقريبا على البداية (24 فبراير سنة 1995) لم أصدق:

ما هذا الخط المنمنم الجميل في الأربع سطور الأولى؟ هل معقول أنه هو الذي كتبه؟

لا أصدق فعلا، حتى المحتوى ليس من مقتطفاته كما تعودت عليها، رحت أبحث عن الأربع أبيات شطر شطرا في "جوجل" ولم أجد أي منها في أي مقطع من أية أغنية مجبها أو حتى لا مجبها، رجعت إلى أصل كراسة التدريبات، ووجدت الصورة طبق الأصل، هي هي صفحة "28"

ظلمت مصمما أن هذه ليست كتابته

هل لي هذا الحق؟

أعتقد أنه: "نعم"

على الأقل حق الامتناع عن التعليق عن ما لم يصلني منه أنه هو هو، حتى النخاع الذي أعرفه

هل كتب أحدهم هذا الجزء لاحقا في أعلى الصفحة؟

هل كان مكتوبا من قبل ولم يلحظ الأستاذ أنه كان هناك حين بدأ تدريبه، فبدأ بالبسملة مباشرة كما اعتاد؟

وما هذا الخط الفاصل بين هذه الأسطر الأربعة، وبين ما اعتدته منه

عذرا شيخى، إسمح لى، حتى ألقاك وأستفسر منك عن حقيقة الأمر، ألا أعلق على هذا الجزء، وسوف أبدا من تحت الخط الفاصل الذى أعتقد أنه بدايتك

عذرا مرة أخرى، حتى لو أخطأت

### القراءة (بعد اغفال السطور الأربع الأولى) :

بعد البسملة، كما اعتاد غالبا ثم اسمه مباشرة، دون اسمى كرميته، يكتب الأستاذ ما اعتدناه منه بجسه الرائق، هذا رجل ابن حظه، ابن وحب، وابن إيمان، ينتقل ما بين فرحة الأغنية وذكر الله وحب الوطن فلا تستطيع أن ترصد إلا حبه للحياة في كل آن، ربما بنفس القدر،

ها هو يحضرنا سيد درويش بكل جماله وكل ما هو سيد درويش، بعد أن دعانا إلى مائدة أم كلثوم أمس وأمس الأول.

هذه الأغنية الأولى "أنا هويت وانتيت" لم أسعها إلا من محمد عبد الوهاب، مع أنها أغنية سيد درويش أساسا ومن أغانى، أنا لا أعرف مؤلفها وإنما أنقل اسمه نقلا، ولو كنت قمت بهذا العمل الذى أقوم به الآن في حضور شيخى، لكنت سألته، ولأجابنى، أحمد الله أننى لم أقم بهذا العمل وهو معى حاضرا حضوره الأول (فهو مازال حاضرا باستمرار) حتى لا أجعل إجابته وصية على تدايعياتى، حين كنت أستمع إلى هذه الأغنية من محمد عبد الوهاب، كنت أتوقف فرحا أمام تكراره "أحبه حتى في الخصام"

ثم إننى لم أكن أربط بين هذا المقطع وبين بداية الأغنية لأننى كنت أتصور أن البداية تشير إلى نهاية بلا رجعة، أما استمرارية الأغنية: قصيرة، وسريعة، ومجيلة هكذا، وفي هذا المقطع بالذات فكان يصلنى منها معان جديدة تماما، فالخبيب هنا يعتب فيها على العذول دعوته أن ينسى هذا الهوى برمته، (حجب إني أقول، يا ريت الحب ده عنى يزول) وكأنه يستكثر عليه ذكرياته بعد أن جرى الهجران، لكن المحب هنا يتمسك بذكرى الحب، وكأنها من حقه حتى لو انتهت العلاقة على أرض الواقع، فهو يصر أن يستمر الخبيب في الخيال الذى بدا من الكلمات أنه أقوى من الأحلام (ما فيش كده ولا في المنام)، وربما أوقع من الواقع،

ثم يفيق الخبيب ليصور حجم الفقد، حيث يعلن أن رضاه بالهجر هو بمثابة هجر الدنيا بأسرها (ما دمت أنا بهجره ارتضيت، منى على الدنيا السلام)

وحين أرجع إلى كلمات الأغنية التى تصورت أن شطرا واحدا منها قد جلبها كلها إلى وعى شيخنا كما تعرفت عليها وتذكرتها عن طريق صديقنا "جوجل" وجدت أن الاستاذ يريد منى

أفضل أن أثبتها كلها لتكون مدخلا للتعرف على مؤلفها الجميل الواطى الثائر الرائع "يونس القاضى" كما سنرى حالا، ففعلت.

أنا هويت وانتهيت وليه بقى لوم العذول  
 باحب إنى اقول ياريت الحب ده عنى يزول  
 ما دمت انا بهجره ارتضيت خلى بقى اللى يقول يقول  
 .....

أنا وحببى فى الغرام مافيش كده ولا فى المنام  
 أحبه حتى فى الخصام وبعده عنى ياناس حرام  
 مادمت انا بهجره ارتضيت منى على الدنيا السلام

حين انتقل بنا شيخنا، وفورا بعد ذلك إلى أغنية "أنا عشقت"، احترت أول الأمر، وأنا لم أتعرف بعد على كاتب الكلمات، والأستاذ لم يرصد إلا كلمتين لا أكثر "أنا عشقت"، ولا بد أنهما وردتا فى آلاف الوثائق والأغانى التى يجمعها الصديق "جوجل" معاً، ومع ذلك رجحت أننا مادمنا فى حضرة سيد درويش ويونس القاضى فالمقصود هو غناء الأول وكلمات الثانى وهكذا تأكدت أن نمة أغنية لسيد درويش بالذات هى المقصودة وهى التى تقول:

أنا عشقت وشفت غرى كثير عشق  
 عمرى ماشفت المر إلا فى هواك  
 وكم صبرت ماكانش فى يوم نتفق  
 مع إن قلى كان أسير يطلب رضاك  
 خنت الوداد  
 من غير ميعاد  
 إن كان عناد بلاش تغير  
 لما تشوفنى  
 مع سواك

فاعتقدت أن هذه الكلمات إنما حضرت وعى الأستاذ لترد على أغنية "أنا هويت وانتهيت"، فتتكاملان، فنهاية الحب هنا هى بمثابة الرد: "واحدة بواحدة"، فالخياة فى هذه الأغنية لاتزال تنبض، فليس على الدنيا السلام"، وعلى المحبوب أن "يتلم"، بشكل أو بآخر ما دام قد جعل محبوبه يعيش المر هكذا، وليس من حقه أن يجر على مشاعر حبيبه تجاه غيره بعد هذا العناد فالبعاد!

ما كل هذا التتابع المتلاحق حتى تحضر أربع أغنيات بكل هذا الثراء في وعى شيخنا هكذا معاً؟

الأغنية الثالثة، أو المقطع الثالث:

ضيعت مستقبل حياتي في هواك

وازداد على اللوم وكثر البغدة

حتى العوازل قصدهم دائماً جفاك

وانا ضعيف ما اقدرش أحمل كل ده

إن كان جفاك يرضى عداك وانا في حماك

عفو الحبيب ما يكونش أحسن من كده

علمتني يا نور عيون الامثال

واحتار دليلى بين تيهك والجوا

كنت افكر حبك يزودنى كمال

خببت ظننى والهوا ما جاش سوا

تبقى ســــــــــــــــبب كل التعب وتزيد غضب؟

دا اللى انكتب فوق الجبين ما الهوش دوا

قبل أن ننقل إلى الأغنية التالية نقبل دعوة شيخنا للتعرف على يونس القاضى من خلال عمنا "جوجل":

**محمد يونس القاضى** شيخ المؤلفين المصريين ولد عام 1888 وتوفى عام 1969 وكان أبوه قاضيا صعيديا قويا، فلقب "القاضى" هذا ليس اسم الأسرة، وإنما وظيفة الوالد، وقد ارتبط مؤلف الكلمات الشيخ محمد يونس القاضى وطنيا وروحيا بالزعيم مصطفى كامل، وقد استمد شاعرنا كلمات نشيد "بلادى بلادى لك حى وفؤادى" من خطبة للزعيم الذى كان يرعى الشاعر ثقافيا ومعنويا، وقد دفع الشيخ القاضى ضريبة أغانيه ومسرحياته الوطنية إذ تعرض للاعتقال 19 مرة وقد اعتقله الإنجليز ذات مرة حين رأوا الجماهير تردد أغاني مسرحياته في المظاهرات، وكما يروى في احاديثه الصحفية ان وكيل الداخلية آنذاك ويدعى نجيب باشا قال له بعد أن امسك الجبة والقفطان الذى يرتديه القاضى بوطنية خالصة قال: "يدل ماتقول الكلام الفارغ ده دور ازاي تصنع جبة في بلدك الأول" ويعلق القاضى على هذا الحادث قائلاً: "هذا الكلام ظل في راسي إلى ان جعلني أنادى في الروايات والمسرحيات التي اكتبها بإنشاء المصانع ومنها اغنية "أهو ده اللى صار.. مالكش حق تلوم على" (أنظر بعد)، لذلك لم يكن غريبا على الشيخ محمد يونس ابداع مثل هذا النشيد العبقري "بلادى بلادى" الذى لا يزال يعيش في وجدان الاجيال.

وتجلت عبقرية القاضي في الأغنيات الوطنية عند التقائه بالشيخ سيد درويش عام 1917 حين كان الشيخ سيد هاربا بعد أن حطم ضلوع زوجته جليلة، ومن طرائف اللقاء ان القاضي بادر درويش بعد أن دله أحدهم عليه بعد رحلة عناء: انا كنت فاكّر الشيخ سيد ضرير وعجوز مهكع واجابه سيد درويش على الفور: وحياة النبي انا كنت فاكرك أعمى وأقرع ونزهي، أشعر الآن أنني لو كنت قد حكيت ما قرأت من مثل هذا على شيخي لفرح وأضاف ما تيسر وأثرى.

بعد هذا اللقاء أثرت العلاقة بين الشيخ سيد والشيخ القاضي باقة من الاغاني المهمة منها العاطفي والوطني مثل: "زوروني كل سنة مرة" و"أهو ده اللي صار"، "ويابلج زغلول"، "وخفيف الروح بيتعاجب".

مرة أخرى: بصراحة، شعرت الآن، وكاني أقرأ على الأستاذ ما عثرت عليه، وكيف رحب به لأنّي أتصور أنه جزء لا يتجزأ من تاريخ الاستاذ وعلاقته بكل من "مصر" التي تجسدت في شخوص وفن كل هؤلاء: بالإضافة إلى حضور أم كلثوم وسعد زغلول وسيد درويش حتى محمد عبد الوهاب، وأعتقد أنه تكلم في كل هذا وحوله مع مرديده في معظم جلساته قبل أن أتعرف عليه وبعده

فجأة تصورت أن شيخنا يوصيني أن أبلغ شباب الثورة - لتكون ثورة- أن يعيشوا معنا هذه الكلمات، وهم يترحمون على هؤلاء الرواد الأوائل، أملا أن يتم تواصل الوعي المصري بعد تعثره وشلله حتى تحتر كل هذه السنين الطول، لعلهم يعيشون معنا هذه النقلة إلى لحن العمل الجميل ونحن نردد:

تلوم عليا ازاي يا سيدنا

وخير بلادنا ماهوش في إيدنا

قولي عن أشياء تفيدنا

وبعدها بقى لوم عليا

.....

.....

بدال ما يشمت فينا حاسد

إيدك في إيدي نقوم نجاهد

احنا نبقي الكل واحد

والأيادي تكون قويه

ثمّ إنّي لم أكن أعلم تلك الصلة بين الشيخ يونس القاضي وأم كلثوم، ولا مدى رعايته محمد عبد الوهاب ففضلت اثباتها هنا الآن تحية للأستاذ الذي لا بد أنه يعرفها عن ظهر قلب

نبدأ بمحمد عبد الوهاب

يقول الشيخ القاضي في أحد حواراته الصحفية عن علاقته بالوسيقار محمد عبد الوهاب "عرفت عبد الوهاب قبل أن أقدمه إلى الشيخ سيد درويش ببضع سنوات وكان يعمل في محل التزى احمد يوسف وكان شقيقه محمد يوسف فنانا قديرا فلفت أنظارنا إلى الصبي الصغير الذى يرتدى الجاكيته فوق الجلباب وكنت وقتئذ أعد رواية لفوزى الجزايرلى وهو على صلة بالشيخ حسن عبد الوهاب شقيق محمد وطلبنا منه ان يأتى لنا بشقيقه ليغنى بين فصول الرواية يقصد المسرحية وجاء عبد الوهاب وغنى بثلاثة قروش صاغ في الليلة ويضيف القاضي ولكن كان هناك أجرا أدفعه انا لعبد الوهاب سواء غنى أو لم يغن وكان يرفض الغناء إلا إذا تناول طبق العاشورة.. إلى ان يقول وحين توفي الشيخ سلامة حجازى عام 1916 انفسح المجال لعبد الوهاب واتيحت له فرصة الغناء والتمثيل في المسرحيات مثل شهوزاد المعروفة باسم شهرزاد وبعدها غنى بدلا من سيد درويش في رواية الباروكة ورحب به سيد وحياه قائلا: "ولد عال ولازم يكون حاجة كبيرة في المستقبل."

(ثم ننتقل إلى أم كلثوم وعلاقتها بالشيخ يونس، فيرحب الأستاذ بنا أكثر ونحن نستجيب لدعوته).

فالشيخ يونس القاضي هو مكتشف أم كلثوم، فقد سافر إليها في قريتها طماى الزهايرة بالمنصورة واقنع والدها الشيخ إبراهيم بالرحيل إلى القاهرة والتحول إلى غناء القصائد والأغاني العاطفية والوطنية بجانب الإنشاد الدينى، ولكن والدها الشيخ إبراهيم لم يرض، ومرت الأيام وقد التقاهم القاضي في مولد الحسين وكان معه الشيخ سيد درويش الذى عرض أن يقدم لها الأخان مجانا إلا أن والدها رفض رفضا باتا.. وظل القاضي يلج علي والدها إلى أن وافق أن تغنى قصائد عبده الحامولى ومنها أغنية "وحقك انت المني والطلب" وبعدها لحن لها عبد الوهاب أغنية خفيفة من تأليف الشيخ يونس القاضي أيضا مطلعها "قال ايه حلف ما يكلمنيش" وسرعان ما اشتهرت بها حتى أصبحت تنافس الست منيرة المهدي سلطانة الطرب.

ويذكر أن نشيد "بلادي بلادي" كتبه القاضي لترجمة مشاعر الشعب المصرى بعد نفي سعد زغلول ورفاقه، ولا تتوقف إبداعه عند ذلك بل كتب أيضا "يا بلج زغلول" "واهو ده اللي صار" وشال الخمام حط الخمام من مصر لما للسودان" "ويا عزيز عيني" التي كتبها بسبب إجبار الشعب على الخدمة العسكرية في صفوف الإنجليز المحتلين ولا ينسى التاريخ له أغنيته عام 1911 وكأنه يكتبها عن أحوال مصر هذه الأيام (2011) (وهي أصلح ما تكون لنا، وبالذات لشباب 25 يناير.

يا ست مصر صباح الخير.. يسعد صباحك يا عنية..

فين العدالة يا مونشير.. وبس فين الحرية

ثم يجتم الاستاذ تدريبه بالإشارة إلى أغنية سالمة يا سلامة التي نعرفها جميعا من سيد درويش إلى داليدا

سالمة يا سلامة آه يا سالمة يا سلامة

سالمة يا سلامة روحنا وجينا بالسلامة

سالمة يا سلامة

.....

صفر يا وابلور واربط عندك نزلنى فى البلد دي

بلا أمريكا بلا أوروبا مافيش احسن من بلدي

دى المركب اللى بتجيب احسن من اللى بتودى يا سطى  
بشندي

يا سالمة يا سلامة روحنا وجينا بالسلامة

سالمة يا سلامة

فنعيش - بفضل الأستاذ وتدريباته- الوجه الآخر لعاناة  
شبابنا فى الغربية هذه الأيام وتتحرك فينا آلام الشباب  
المهاجر مغامرا حتى بالحياة نفسها انتحارا على قوارب الموت،  
ونقارن ونتعلم،

ونشكر الأستاذ على هذه الجرعة الزاخرة بالمدق والفن  
والحب والوطن فى هذه الأيام بالذات.

ربنا يخليه.